

الحث على حفظ اللسان

عباد الله: إن دين الإسلام، وهو الدين الكامل في أحكامه، الشامل في تشريعاته، قد هدى إلى أرقى الأخلاق، وأرشد إلى أكمل الآداب، ونهى عن مساوئ الأفعال ومستفحج الأقوال، وإن مما وجه إليه الإسلام من الفضائل والآداب العناية بأدب الحديث، وحسن المنطق، وحفظ اللسان عن اللغو وفضول الكلام، فلقد أكرم الله -تعالى- بني آدم، وميزهم عن سائر الحيوان بنعمة العقل والبيان، وامتن -سبحانه وتعالى- بهذه النعمة على خلقه بقوله: **أَوَلَمْ يَرِ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ**) [يس:77].

فحق هذه النعمة أن تُشكر ولا تكفر، وأن يُراعى فيها ما يجب لله -تعالى- من حفظ عن الحرام، وصيانة عن الآثام؛ فإن اللسان من أعظم الجوارح أثرًا، وأشدّها خطرًا، فإن استعمل فيما يُرضي الحق وينفع الخلق كان من أكبر أسباب السعادة والتوفيق لصاحبه في الدنيا والآخرة، وإن استعمل فيما يسخط الجبار ويضر بالعباد الحق بصاحبه أكبر الأضرار، وأعظم الأضرار.

ولذا غني الإسلام بأمر اللسان أيما عناية، فحث ربنا جل وعلا في محكم التنزيل وعلى لسان سيد المرسلين -صلوات الله وسلامه عليه- على حفظ اللسان وصيانة المنطق، ومجانبة الفحش والبذاءة، فقال -جل وعلا-: **وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْزِعُ بَيْنَهُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوًّا مُبِينًا** [الإسراء:53]، ووصف الله -عز وجل- ذوي الإيمان وأرباب التقى بالإعراض عن اللغو، ومجانبة الباطل من القول، فقال عز شأنه: **قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ * الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ * وَلَّذِينَ هُمْ عَنْ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ** [المؤمنون:1-3]، وقال -سبحانه-: **وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ وَقَالُوا لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِي الْجَاهِلِينَ** [القصص:55].

فحفظ اللسان عن المآثم والحرام عنوانٌ على استقامة الدين وكمال الإيمان؛ كما في الحديث عند الإمام أحمد وغيره أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال: **"لا يستقيم إيمان عبد حتى يستقيم قلبه، ولا يستقيم قلبه حتى يستقيم لسانه"**، بل إن جوارح الإنسان كلها مرتبطة باللسان في الاستقامة والاعوجاج؛ فقد روى الترمذي في سننه عن أبي سعيد الخدري -رضي الله عنه-، عن النبي -صلى الله عليه وسلم- أنه قال: **"إذا أصبح ابن آدم فإن الأعضاء كلها تكفر اللسان، تقول: اتق الله فينا؛ فإنما نحن بك، فإن استقمت استقمنا، وإن اعوججت اعوججنا"**، قال الإمام النووي -رحمه الله-: -معنى (تكفر اللسان) أي: تذلل له وتخضع".

وإن حفظ المرء للسانه، وقلة كلامه عنوان أدبه، وزكاء نفسه، ورجحان عقله، كما قيل في مآثور الحكم: **"إذا تم العقل نقص الكلام"**، وقال بعض الحكماء: **"كلام المرء بيان فضله، وترجمان عقله، فاقصره على الجميل، واقتصر منه على القليل"**.

وإن المسلم الواعي ليحمله عقله ويدفعه إيمانه إلى الاعتناء بحسن اللفظ وجميل المنطق حين يرى المقام يدعو إلى الكلام، وإلا أثر الصمت ولزم الكف طلبًا للسلامة من الإثم، عملاً بتوجيه رسول الهدى -صلى الله عليه وسلم- في قوله: **"من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرًا أو ليصمت"** أخرجاه في الصحيحين.

فحسن التعبير عما يجول في النفس أدب رفيع، وخلق كريم، وجه الله -تعالى- إليه أهل الديانات السابقة، وأخذ عليهم به العهد والميثاق، فقال عز وجل: **وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَبِالَّذِينَ إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا** [البقرة: 83].

وإن الطَّيِّب من القول ليجمع مع كل أحد من الناس، سواءً في ذلك الأصدقاء أو الأعداء، فهو مع الأصدقاء سببٌ لاستدامة الألفة والمودة، وأما حسن الكلام مع الأعداء فإنه مما يُذهب وحر الصدور، ويسلّ السخائم والضغائن، ويطفئ الخصومات كما قال -سبحانه-: **إِذْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ * وَمَا يُلْقَاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلْقَاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ** [فصلت: 34-35].

أيها المسلمون: إن للسان آفاتٍ عظيمةً، وإن للثرثرة فضول الكلام مساوئ كثيرة، وقد قال أمير المؤمنين عمر بن الخطاب - رضي الله عنه- في التحذير من ذلك: "من كثر كلامه كثر سقطه، ومن كثر سقطه قلّ حياؤه، ومن قلّ حياؤه قلّ ورعه، ومن قلّ ورعه مات قلبه"، وقال بعض السلف: "أطول الناس شقاءً وأعظمهم بلاءً من ابتلي بلسان منطلق وفؤاد منطبق".

فمن الحزم والرشاد اجتناب فضول الكلام، وحفظ اللسان عن كل ما لا ينفع ولا يفيد في أمر دين أو دنيا؛ إذ بهذا وصى رسول الهدى -صلى الله عليه وسلم- أمته، وحثها عليه، فقد روى الترمذي وغيره أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال لمعاذ بن جبل -رضي الله عنه-: "كف عليك هذا" وأشار -صلى الله عليه وسلم- إلى لسانه، فقال معاذ: يا رسول الله، وإنا لمؤاخذون بما نتكلم به؟! فقال -صلى الله عليه وسلم-: "تكلمك أمك يا معاذ، وهل يكبّ الناس في النار على وجوههم إلا حصائدُ ألسنتهم؟!"، وروى الترمذي وغيره عن سفيان الثقي -رضي الله عنه- قال: قلت: يا رسول الله، ما أخوف ما تخاف عليّ؟ قال: فأخذ رسول الله -صلى الله عليه وسلم- بلسان نفسه، ثم قال: "هذا".

فاتقوا الله -عباد الله-، ولتحفظوا ألسنتكم، وسائر جوارحكم عما حرم الله -تعالى- عليكم، ولتتذكروا على الدوام قول الحق جل وعلا: **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا** [الأحزاب: 70-71].

نفعني الله وإياكم بالقرآن الكريم، وبهدي سيد المرسلين، أقول قولي هذا، وأستغفر الله لي ولكم ولسائر المسلمين من كل ذنب فاستغفروه، إنه هو الغفور الرحيم.

Brothers and sisters: Islam, the perfect religion, teaches us the best manners, guides us to noble character, and forbids bad actions and ugly speech. One of the most important teachings of Islam is to use our tongues wisely – to speak good words and avoid useless or harmful talk.

Allah honored humans with the gift of speech and reason. This blessing should be used with thanks, not with sin. The tongue can bring great benefit if used in good, but it can also cause great harm if used in evil.

The Qur'an and the Prophet Muhammad (peace be upon him) both commanded us to protect our tongues. Allah says:

“Tell My servants to say what is best, for Satan stirs up trouble among them.” [Al-Isrā': 53]

And He described the believers as those who avoid useless talk:

“Successful indeed are the believers... who turn away from idle talk.” [Al-Mu'minūn: 1-3]

The Prophet (peace be upon him) said:

"A person's faith will not be upright until his heart is upright, and his heart will not be upright until his tongue is upright."

He also said that every day the body parts tell the tongue: *“Fear Allah about us, because we are safe if you are upright, and we are ruined if you are corrupt.”*

So, speaking little and guarding the tongue shows good manners and wisdom. As the Prophet (peace be upon him) taught:

"Whoever believes in Allah and the Last Day, let him speak good or remain silent."

Good words benefit everyone. With friends, they strengthen love. With enemies, they reduce anger and may turn them into friends. Allah says:

“Repel evil with what is better; then the one who was your enemy may become your close friend.” [Fussilat: 34]

But the tongue also has many dangers. ‘Umar ibn al-Khaṭṭāb said: *“Whoever talks too much will make many mistakes. Too many mistakes take away modesty and piety, and when piety is gone, the heart dies.”*

The Prophet (peace be upon him) warned Mu‘ādh ibn Jabal: *“Control your tongue.”* Mu‘ādh asked: *“Will we be punished for what we say?”* The Prophet replied: *“Most people are thrown into Hellfire because of what their tongues have harvested.”*

So, fear Allah, protect your tongues from sins, and remember His words:

“O you who believe, fear Allah and speak words of truth. He will make your deeds right and forgive your sins. Whoever obeys Allah and His Messenger has truly succeeded.” [Al-Aḥzāb: 70-71]